النوريستانيا بعجز عن تحقيق أولية تناسلية». الأمر ليس بحال امر خلاف علمي اذاً. فأي خلاف علمي ذلك الذي يتطلب الطرد والادانة والتشويه ؟ انه خلاف سياسي مع التوجهات الصهيونية للتنظيم الفرويدي. لقد انضم رايخ الى الحزب الاشتراكي النمساوي، ومنه الى الحزب الشيوعي، ثم ارتكب «خطيئته الكبرى» بزيارته الاولى للاتحاد السوفياتي، في أيلول (سبتمبر) ١٩٢٩، أي بعد ذبول آمال الصهيونيين في اقامة دولتهم القومية هناك، وبعد تحريم قيام الاحزاب الصهيونية. الامر، اذاً، امر صراع سياسي، وما الخلاف العلمي الّا محاولة للاستخفاء.

وفي حقيقة الامر، فان الطابع السياسي المتعصّب للتنظيم الفرويدي الصهيوني السري يفصح عن نفسه، أيضاً، في ذلك الاسلوب الحادّ، والشخصي، الذي ميّز، ويميّز، الفرويديين في ادانة، ومهاجمة، من يخرجون عليهم. ولننظر، مثلاً، الى حوار أُجري مكتوباً، وعلانية، بين فرويد وادلر، ابّان اختلافهما. قال فرويد عن فضله على ادلر: «لقد صنعت من القزم عملاقاً». فردّ ادلر: «... حتى القزم، اذا ما احتل مكانه على كتفي عملاق ضخم، فانه يستطيع ان يرى لأبعد ممّن يحمله». فردّ فرويد، مرة أخرى، قائلاً: «... قد يصدق ذلك على القزم، ولكن لا يصدق، بحال، على قملة في شعر ذلك العملاق». تُرى، هل يمكن لمثل تلك الحدّة ان تكون مجرد استجابة لخلاف علمي ؟ بل ان الامر ليمضي الى ما هو أبعد من ذلك. فبعد وفاة ادلر، في الأول من أيار (مايو) ١٩٣٧، كتب ارنولد زفايغ الى فرويد معبّراً عن تأثره لذلك، اذ ان ادلر قد وافته المنيّة فجأة وهو يسرع الخطى عبر احد شوارع اسكتلندا في طريقه الى القاء احدى محاضراته، فاذا بفرويد يكتب لزفايغ، في ٢٢ حزيران (يونيو) ١٩٣٧، مؤنّباً اياه، لابدائه مثل تلك المشاعر، قائلاً: «... انني لا أفهم تعاطفك من اجل ادلر. ان ملاقاة الموت في احد الشوارع الفاخرة في اسكتلندا ليعد، بالنسبة الى طفل يهودي خرج من ضاحية متواضعة من ضواحي فيينا، حدثاً رائعاً في حد ذاته، ودليلاً على مدى ما بلغه من رفعة. لقد كافأته الدنيا بسخاء نظير ما قدمه من خدمات بمعارضته للتحليل النفسي...». تُرى، هل يمكن تصور ان يتخذ العداء مثل تلك الصورة الحادة المتشنجة، الّا اذا كان صادراً عن قائد سياسي متعصّب ؟ ولم يكن الامر قاصراً على الموقف من ادلر بطبيعة الحال. فقد كتب فرويد الى جونز، في ١٩١٩/٢/١٨، مشجّعاً اياه على طرد انصار يونغ من جمعية لندن، مستخدماً، في خطابه، مصطلحاً لا يستخدم الّا في أوساط سياسية معيّنة، اذ كتب: «... ان عزمك على تطهير جمعية لندن من انصار يونغ لأمر رائع...».

لقد كان فرويد طموحاً الى أقصى الحدود في ما يتعلق بالآفاق التي يرجوها لتنظيمه السياسي الصهيوني. ولم يكن يألو جهداً في مدّ شبكة التنظيم الى كل دولة يستطيع الوصول اليها. «فقد كان للحركة منظمات أو مجموعات دولية؛ لكل دولة مجموعة يقودها مسؤول مرتبط، مركزياً، برابطة التحليل النفسي الدولية، ومركزها زيورخ. وتعمل الحركة على كسب العناصر النشيطة، علمياً واجتماعياً، وتوظيفها لخدمتها...». وقد كان ذلك الطابع الدولي امراً تفرضه الطبيعة الصهيونية للتنظيم الفرويدي. ولكي لا يختلط علينا الامر بالتنظيمات الدولية العلمية الاخرى، والتي لا تأتمر بأمر قيادة سياسية سرّية، يكفي ان ننظر الى رؤية فرويد الى آفاق الطابع الدولي لحركة التحليل النفسي. فهو قرّر في كتابه عن تاريخ حركة التحليل النفسي «... انه لمن الواضح ان القتال من اجل التحليل النفسي ينبغي خوضه حتى نهاية فاصلة، حيث تتعاظم المقاومة التي يواجهها؛ أي، بالتحديد، في البلدان ذات الحضارات القديمة...». ان عبارة فرويد هذه لم تلفت الانتباه آنذاك (في العام ١٩١٥) وانصرفت الاذهان الى انه يعني بها الحضارة الاوروبية في مقابل الحضارة الاميركية الأحدث. ولكن ألا يحق لنا، اليوم، ان نسأل من جديد عمّا كان يعنيه فرويد بعبارته ؟ أليس من المحتمل ـ مجرد